

موسيقى - رسالة حميمة حملتها أصابع جياسين تيان من الصين إلى لبنان الأوركسترا الفيلهارمونية بقيادة هاروت فازليان اندمجت بفنانة تروي التاريخ بالعزف

المصدر: "ا ف ب" 23:33 | 05-10-2016

مي منسى



شارك على [in](#) [v](#) [t](#) [w](#) [f](#)



أطلّ المعهد الوطني للموسيقى في افتتاح موسمه الجديد في كنيسة القديس يوسف على حدث ثقافي لافت، قرأنا من مراسله الموسيقي جسر تواصل بين الصين ولبنان، بين قارة آسيوية ماردة ووطن صغير في حجم كَفّ من مساحات بلدان العالم، لا يزال إنسانه المتجذّر في تاريخه، في حضارته، في ديمومته، يكدّ ويكافح للتفوّق على الشرّ المستفحل فيه، سلاحه العلم والثقافة، والموسيقى الساهر على تطوّرهما، المعهد الوطني، بتوسيعه آفاقها في المناطق اللبنانية عامة، شعاره الكمان والعود مكان البندقية، ولا سيما الأوركسترا الفيلهارمونية التي كانت الرهان الراجح للراحل الدكتور وليد غلميّة والميدالية الذهبية على صدر الكونسرفتوار الوطني، تستقطب كبار قادة الأوركسترات في العالم، والعازفين المنفردين.

٢١٨

بتسلّم الدكتور وليد مسلّم الأمانة من بعده، كان لطموح هذا الرجل المثقّف أن يكفل الرسالة الصعبة في زمن الفراغ الذي يعاني منه الوطن، ويعلو بها بلا تردد إلى مصاف أوركسترات العالم. وكم واضحة النتائج حين يتسنى لنا نحن المدمنين لقاء الجمعة الأسبوعي، التعرّف إلى نسق آخر من أساليب القيادة، وإلى عازف منفرد نقش إسمه بين مشاهير العزف جاء ضيفا إلى وطننا، وآخر الضيوف جياسين تيان التي تحوي في أصابعها وطنا كان يُعرف في الماضي بأرض الموسيقى السماوية.

جياسين تيان قيمة موسيقية كبيرة. إن جاءتك يوما رسالة من الصين فلا بد أن ترى على الظرف طوابع بريدية تحمل صورتها. هكذا، بهذه العلامة الوطنية الفاخرة، يرفع بلد مبدعيه إلى العلى والمبادرة الكبرى لها، بتعريف مؤلّفات موسيقيي وطنها إلى العالم، فيما مشاهير العازفين الصينيين اليوم من عازفي الشيللو يويو ما وجيان وانغ، وعازفي البيانو لانغ لانغ ويوندي لي، تغزّبت موسيقاهم وبرع عزفهم في أدائهم موسيقى العصور الأوروبية. جياسين تيان المبدعة، وإن أكملت اختصاصها الموسيقي في معهد مانهاتن الأميركي، ونالت أرفع جائزة في العزف على البيانو، لا يزال قلبها ينبض للإرث الصيني، وقيمتها في قائمة الجمعة كانت لموسيقى عرفت أن تحافظ على تراثها في مؤلّفات أخذت لون الصين وفولكلوره في كتابة كونية اجتمعت على إحيائها الآلات الموسيقية الكلاسيكية.

كيف يتلقى شعب الأقليات الإثنية في منطقة يونان الخبر السعيد الآتي إليه من بيجينغ. تشينغ لو، استوحى مقطوعته من شعوب المياو واللي. الأوركسترا انسجمت بزغرداتها وفولكلورها كتحية للصين الحاضرة بسفيرها وطاقمها الديبلومسي في تلك الليلة.

لعل اللقاء بجياسين تيان مع المايسترو هاروت فازليان والأوركسترا الفيلهارمونية، في كونشرتو "النهر الأصفر" لمؤلّفه لي هونغ شينغ، كان تعبيراً مؤثراً عما تحويه الموسيقى، من أي قارة جاءت، من تعاطف يستحيل على اللغة بلوغه. السيدة بفستانها الأحمر حملت في أصابعها السحرية تاريخ الصين وحقباتها المريرة والسعيدة. "النهر الأصفر"، كما برعت الملتفة بحبر الصين في إيصاله إلينا، بما كانت في تلك اللحظات تجترحه من عمق أحاسيسها، تلقيناه أناشيد وطنية حول النهر الأصفر وما يرمز إليه من قدر جارف ومتقلّب، لا يستكين. ثمة كائنات تشبه الصلاة حيّت بها شجاعة الشعب في نضاله ضد العدو الياباني. ففي كل نشيد كنا نسمع الآلات النفخية تتنادى، رعوية، ملوّنة بالمروج الخضراء، آتية من زمن مضى فترشها أعاصير البيانو منفردة، إلى أن يوافيها الشيللو والكمانات في نغم رومنطريقي بديع.

الصين على أصابعها تتذكرها نوبات كانت في ما مضى تكتب بالحبر الصيني. هذا ما كنا نتصوّره وكلمة وطن في كل نغم. عادت بمقطوعة لبيانو وأوركسترا لتشانغ تشاو، كأجراس المعابد تدعو إلى النذور. حلم الصين يعاصر موسيقى هذا الزمن ويبقى للسيدة أن تستوحى من الملامس آلات فولكلورية تفلديّة إيقاعية كانت تحت أصابعها ترتعش كأوراق الشجر. هذه الساحرة استعملت ستة اساليب مختلفة في تقليدها الجرس والبيبا والغوكين.

سمفونية العالم الجديد لدفورجك
لهب عذب يتصاعد من الأوركسترا، كنشيد أرضي، نشيد السمفونية التاسعة لدفورجك المسماة "العالم الجديد". الأوركسترا الفيلهارمونية منسجمة مع هذا المناخ البطولي، الأسطوري. الضوء الساطع آت من المايسترو هاروت فازليان، يرمي على كل عازف صفاء، ولا سيما حين تعلو الفلوت من البعيد في مواكبة مع الهوبوا والكور الانكليزي.
من أربعة فصول حكاية "العالم الجديد"، كما تشخّصه دفورجك، قصيدة لأوروبا الشرقية، تداخلت فيها نماذج هجينة من موسيقى أميركية وهندية وموسيقى شعبية سوداء، في تكاتفها خلقت روائع ترسو بعد أسفارها البعيدة في وطن دفورجك التشيكي. كنا تحت تأثير سحر كل جملة، ببنويتها الدرامية ورسالتها الإنسانية لإنسان جديد. الأوركسترا تحت راية المايسترو المدقق في منبع النوطة، أعطت في هذا التمازج التقني، ترجمة باهرة بنفوذها الديناميكي العائد بلا شك إلى قائد فذ أبي إلا أن يكتب نص العالم الجديد في ذاكرته من دون استعانة بالمخطوطة. كان فعلاً في حال من الانخفاف، تحت تأثير هذه التحفة، وفي هذا التفاعل التلقائي أعاد إلى هذه السمفونية المعزوفة في العالم آلاف المرات، نضارتها وبريقها.

r\n\

may.menassa@annahar.com.lb